

مركز تكامل للدراسات والابحاث

دراسات محكمة

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية
في زمن كورونا بالمغرب

سعيد بنيس

أستاذ بجامعة محمد الخامس

09 يونيو 2021

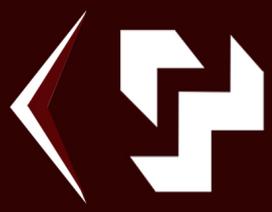
All rights
reserved



جميع الحقوق
محفوظة

مركز تكامل للدراسات و الأبحاث
TAKAMUL centre for Interdisciplinary Research and Studies

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



مقدمة:

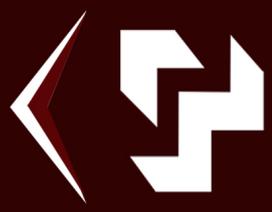
ترمي هذه المحاولة فهم راهن تظاهرات زمن كورونا في المجتمع المغربي من خلال رصد تمفصلات التفاعلات المجتمعية وإشكالات التعايش مع الجائحة في ظل اشتعال الأخبار الزائفة وظهور قيم جديدة ترتبط بثنائية الرابط الاجتماعي والرابط الرقمي. لفهم هذه التمفصلات تم الانطلاق من استنتاج عام يروم ضبط بعض التفاعلات المجتمعية في علاقتها بإرهاصات الانتقال إلى مجتمع الثقة من خلال توصيف بعض مكونات الرابط الاجتماعي وكذلك بعض تعبيرات الرابط الرقمي. ويظل سؤال البحث هو كيف تعايش المغاربة مع فيروس كورونا في أفق الانتقال من مجتمع التواصل الواقعي إلى مجتمع الاتصال الرقمي¹؟ للإجابة على هذا السؤال تم ربط البيئة المجتمعية بالتفاعلات وآليات التعايش التي تآرجحت بين الفعلية الواقعية والفاعلية الرقمية وجذوة وتأثير الأخبار الزائفة في مقابل بروز منظومة قيمية جديدة توازي بين سلوكيات اجتماعية فرضتها الجائحة وإكراهات مجتمعية تحيل على طقوسية وخصوصية مغربية.

التفاعلات المجتمعية في زمن كورونا

يعد التقارب الاجتماعي في مجتمعات العالم عادة من عادات التآلف والتعايش، وتزداد وتيرته وتنقص بحسب البلدان والقارات والتاريخ المشترك والثقافة الموروثة، كما في بلدان المتوسط وشمال إفريقيا والشرق الأوسط التي ينتمي إليها المغرب. إن التقارب الاجتماعي في المغرب يعد سلوكا مجتمعيا محمودا وتصرفا فرديا وجماعيا راقيا؛ لأنه يعبر عن تواضع الشخص ورفعته وحلمه في التعامل مع الآخرين. لهذا، فالمغربي ينحو، في تعاملاته وفي تداولاته ونقاشاته اليومية، منحنى الالتحام الجسدي مع محاوريه ومخالطيه كأن الانتباه والإنصات وتلقي الكلام لا يمر عبر قناة الأذن بل عبر جسر الفم والتقارب والالتصاق بالآخر ومحاولة إقناعه وإفحامه وانخراطه باستعمال كذلك اليدين لملامسة جسمه. وكما يقال بالدارجة: "تيلبسو" و"داخل معاه" و"حاط راسو على راسو" و"نجمعو"

¹ Said Bennis, 2018 «Enjeux et défis de la participation au Maroc : de la participation citoyenne à la revendication citoyenne » dans *From Democratic Transition to Democracy Learning Towards a Paradigmatic Turn in Democratization Studies*, Edited by Mohamed El Hachimi. Publié par Konrad-Adenauer-Stiftung e.V. pp. 129-135.

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



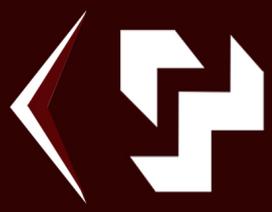
"ونقرقبو الناب" و"نتهاردو" و"مخشي فيه تهيدرو"... وكلها عبارات عامية تحيل على تقارب جسدي ودنو بدني وازدحام مكاني كطقس من طقوس التمجيب والحميمية والانتماء إلى المجموعة.

لكن هذا التقارب الاجتماعي أضحى، مع انتشار جائحة كورونا ومع نصائح وإرشادات المنظمة العالمية للصحة، خطرا كارثيا على حياة الإنسان؛ بل ومصدرا مؤكدا لانتشار العدوى والوباء. ومن ثم، صار طقس وسلوك التباعد الاجتماعي (Social Distancing²) الحل الوحيد والأوحد؛ بل الحل الناجع ومدخلا من بين المداخل الناجحة لمحاربة هذه الجائحة. لهذا، يبدو ضروريا، للحفاظ على سلامة الفئات التي ما زالت ملتزمة بالاشتغال والتواجد الفعلي في الفضاء العمومي المغربي وفي المرافق الإدارية والصحية مثل الأطباء والممرضين ورجال السلطة العمومية والصحافيون والصيادلة وموظفي البنوك والتموين الغذائي والمتاجر الكبرى وآخرين، اتخاذ الاحتياطات اللازمة في التعامل مع المواطنين أو الزبناء أو المرتفقين؛ لأن عادة التقارب الاجتماعي عند المغاربة كطقس اعتيادي قد يؤدي إلى تفاقم أعداد المصابين بكورونا. إن أغلب الفيديوهات والمتابعات والمشاهد، لا سيما فيما يخص بعض الفئات التي تتحرك في الفضاء العمومي ومنها على الخصوص أعوان ورجال السلطة، تظهرها فريسة سهلة وعرضة للإصابة بفيروس كورونا؛ لأنها تتعامل مع الجماعات والأفراد الذين لا يحترمون الحجر الصحي أو يعمدون إلى خرق حالة الطوارئ بتلقائية تنسجم وتخضع لثقافة التقارب الاجتماعي وتجعل الأجسام في دنو خائن ومحاذاة قاتلة.

كما ينضاف إلى هذه الفئات بعض الوقائع الاجتماعية، التي تشير إلى تجذر سلوك التقارب الاجتماعي عند المغاربة. ويمكن سرد، على سبيل المثال لا للحصر، ما حدث عند استلام رخصة التنقل الاستثنائية المسلمة من طرف السلطات المحلية أو عند توزيع المساعدات أو تقديم الخدمات، حيث لا يذعن الأفراد بالتدابير الاحترازية ولا تلتزم الساكنة بالبيوت للحد من تفشي فيروس "كورونا"؛ بل يعود الأفراد والمجموعات إلى طقوسيتهم التي دأبوا عليها في معيشتهم المجتمعي قبل جائحة كورونا. وهذا ما وقع في جماعة سبت أولاد النمة، كما في باقي المراكز الحضرية بإقليم الفقيه بن صالح، تزامنا مع توزيع مساعدات غذائية على الأسر المعوزة. ويمكن قياس نفس السلوك على ما

² Katie Pearce, 13 March, 2020 « What is Social Distancing and How Can it Slow the Spread of Covid-19 », *The Hub*, Johns Hopkins University; <https://hub.jhu.edu/2020/03/13/what-is-social-distancing/>, accessed 18 June 2020

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



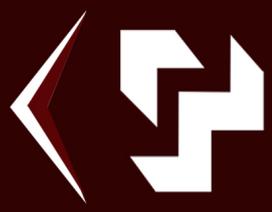
حدث بجماعة تكانت بإقليم كلميم عندما تجمع أكثر من 300 شخص في نفس المكان، إثر عملية توزيع للدقيق غير مبالين بمخاطر الازدحام والتقارب البدني وعدم احترام مسافة الأمان الضرورية.

ومع تعدد وتنوع حالات التجمع والاحتفاظ من أجل الاستفادة من بعض الخدمات والانتفاع ببعض المساعدات الاجتماعية وفي خضم انطلاق عملية الدعم المؤقت للأسر العاملة في القطاع غير المهيكل للاستفادة من مساعدة مالية تمكنها من المعيش والتي أقرتها لجنة اليقظة الاقتصادية، شرع في التفكير بطريقة معمقة على رقمنة الإدارة³ لتتم تفاعلات المواطنين مع المرافق العمومية عن بُعد كخطوة استباقية لاحترام وضبط الشروط الاحترازية للحجر الصحي. لهذا، وفي الحالات القصوى لتحرك الفرد والمواطن من أجل حاجياته الضرورية والحيوية، من اللازم كذلك توعيته ليس فقط من خلال هاشتاغ "# نبقاو فالدار" و"# خليك فدارك"؛ بل كذلك باعتماد ونشر والتشارك على نطاق واسع عبر مواقع ومنصات التواصل الاجتماعي والقنوات العمومية هاشتاغ "# بعد مي" و"# بقا بعيد بجوج مترو" و"# احترم مسافة الأمان = 2 متر".

كما أدى تجميع الأسر المغربية في البيوت، بسبب الحجر الصحي، إلى إعادة تشكيل العلاقات بين أفرادها وانتقالها إلى علاقات واقعية، بعدما انزاحت، خلال السنوات الأخيرة، إلى علاقات افتراضية، جراء تنامي استعمال وسائل الاتصال الحديثة. لهذا فمنظومة التواصل الواقعي يمكن أن تتجدر بعد انتهاء فترة الحجر الصحي، فالأسرة ستسترجع دورها كمحضر للتنشئة، بما أن الحجر الصحي قد مكن من اكتشاف الآباء والأمهات لشخصيات أبنائهم وتطلعاتهم المستقبلية، وبالتالي حصول تقارب بين الطرفين. فمرحلة ما بعد جائحة "كورونا"، ستجعل الآباء والأمهات يعيدون النظر في طريقة تعاملهم مع أبنائهم، حيث ستعزز قيم المراقبة، بعدما كان المنطق الزمني لما قبل كورونا قد أفضى إلى غياب الآباء والأمهات والأبناء أيضا عن البيت، رغم تواصلهم افتراضيا. لهذا فالزمن الانتقالي لكورونا يمكن أن يعيد علاقة "المصاحبة والمعايشة" بين الآباء والأبناء، من خلال كسر "الكيتوهات" التي خلقها الشباب من خلال انغماسهم في العالم الرقمي. فالزمن الراهن الذي فرضته جائحة كورونا لم يشهد فقط

³ مراد جفري، 2017 " الثورة الرقمية وتأثيراتها على الإدارة العمومية بالمغرب" مجلة قانونك الالكترونية تم الاطلاع عليه بتاريخ 12 يونيو 2020 - <http://9anonak.blogspot.com/2017/01/Revue.9anonak.N-1.janvier-mars.2017-Art-03.html>

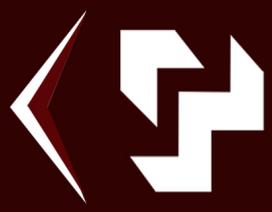
محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



تغيرات على مستوى علاقات أفراد الأسرة فيما بينهم، بل إن هذه التغيرات طالت أيضا علاقات أفراد المجتمع ككل، بعد تسجيل تحولات اجتماعية ظرفية، حيث حدث انخفاض نسبي في عدد الجرائم المرتكبة، ما نتج عنه انخفاض منسوب العنف في المجتمع، وبالتالي ارتفاع منسوب الثقة في مؤسسات الدولة الساهرة على ضمان الأمن العام. وبخصوص كيفية تدبير التفاعلات المجتمعية لما بعد جائحة "كورونا"، ثمة ضرورة لتعميق المواطنة الإيجابية واسترجاع الثقة، بالارتكاز على السياسات الحياتية التي تضع سلطة الحياة والحفاظ على حياة الإنسان وحمايته على رأس أولويات السياسات العمومية، بدل التركيز فقط على الاستثمار في البنية التحتية، وتوسيع مبادرة صندوق تدبير جائحة كورونا إلى مبادرة لإنشاء صندوق وطني لمواجهة الأوبئة والجوائح. كما أن على الأحزاب السياسية المغربية أن تلتقط الإشارات المهمة التي أفرزتها جائحة كورونا لبناء برامجها الانتخابية المستقبلية، مع مراعاة مستجد هام، وهو أن الجيل الحالي من الشباب ينتظر من الأحزاب السياسية خطابا جديدا مختلفا عن الخطاب الكلاسيكي الذي كانت تتبناه، وذلك عبر التفاعل معه في العالم الافتراضي⁴، وعدم الاكتفاء فقط بالتواصل الواقعي. لهذا يستحب تدبير الأحزاب السياسية لمرحلة ما بعد كورونا بطريقة عقلانية وواقعية، لأن وعي المواطن المغربي يتشكّل ويلتقط عناصره من العالم الرقمي، كما أن تنشئته تمت عبر وسائط التواصل الاجتماعي، وعلى الأحزاب أن تمسك بهذه الإشارات، فكل خرجة لأي مسؤول سياسي تتم مناقشتها بطريقة مستفيضة من طرف المواطنين، وهناك وعي سياسي ورقابة مواطنة وعبقورية سياسية ينضح بهما العالم الرقمي المغربي. فكل خرجة لأي مسؤول سياسي تتم مناقشتها بطريقة مستفيضة من طرف المواطنين الافتراضيين (Netoyens)، لأن هناك رباط رقمي ينهل من عبقرية سياسية ينضح بها العالم الرقمي المغربي.

⁴ سعيد بنيس، 2019 "تمثلات الخطاب الاحتجاجي للألتراس في المغرب وتأثيراته السياسية" مجلة "الباب" للدراسات الاستراتيجية والإعلامية العدد 2 مايو / أيار 2019 - مركز الجزيرة للدراسات - ص. 143 - 173

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



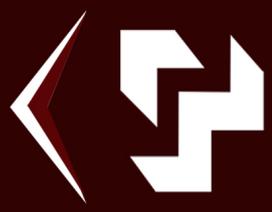
التعايش مع كورونا: بين الفعلية الواقعية والفاعلية الرقمية

أصبحت فرضية التعايش واستمرار الحجر الصحي واقعا وجب تدبيره على المستوى الداخلي والخارجي. فهل سينجح المغاربة في ذلك؟ فمن خلال مرور عدة أشهر على حالة الحجر الصحي وحالة الطوارئ يبدو أن احترام تدابير الحجر الصحي من طرف المغاربة عرف استقرارا نسبيا في جميع جهات المملكة المغربية مع بعض الاستثناءات وهذه الاستثناءات تحيل على بعض السلوكات سواء منها المرتبطة ببعض الفئات العمرية كالشباب التي لم تتقبل فكرة الحجر وعدم التحرك على اعتبار أن الحجر يشكل شللا لحركتها وهي التي ألفت ممارسات مجتمعية بعينها مثل الخروج إلى بعض الأماكن والتجمع فيها كما أن شهر رمضان كان يمثل بالنسبة لها موعدا سنويا لبعض العادات مثل السهر والمآمنة الليلية والأنشطة النهارية مثل الدوريات الشعبية لكرة القدم التي كانت تنظم وسط الأحياء.

فالاستثناء في عدم التعايش مع فيروس كورونا وعدم تحمل تداعيات الحجر الصحي مرده كذلك طبيعة وضيق مساحة المنازل وبعض التجمعات السكنية⁵ في بعض أحياء المدن الكبرى التي تركز في معيشها اليومي على طقس التقارب الاجتماعي "الفيزيائي" المجالي وكذلك الرمزي المجتمعي حيث "التجامع" والخروج إلى أماكن بعينها والتواجد بها دون غرض أو حاجة ملحة يمثل عنصرا من عناصر هوية وانتماء الفرد لمحيطه. فالذهاب لـ "جوطية" لا يبني على أساس التسوق أو التبضع لكن التواجد بداخل هذا الفضاء يعد عنصرا حيويا ومتنفسا عاطفيا للتوازن الاجتماعي للفرد والجماعة مثله ما يقع في المدارات القروية في ارتباطها برمزية السوق الأسبوعي كمجال للتواجد وترسيخ الهوية الترابية. كما أن حلول فصل الصيف والرغبة في الاستفادة من الشاطئ أو المنتزهات القريبة من مقر السكنى ستشكل عاملا غير متوقع في ضبط ايقاع تعايش المغاربة مع فيروس كورونا. إذن من خلال هذه التظاهرات المجتمعية المرتبطة ببعض الفئات العمرية أو بعض التجمعات السكنية الحضرية منها والقروية وكذلك مع حلول فصل الصيف وطبيعة الممارسات المجتمعية التي تنشط فيه يمكن استشراف بؤر مقاومة في كلتا

⁵ Rapport de l'enquête nationale sur le lien social au Maroc , 2012 à partir du lien https://www.ires.ma/documents_reviews/rapport-de-lenquete-nationale-sur-le-lien-social-au-maroc/ consulté le 09 Juin 2020

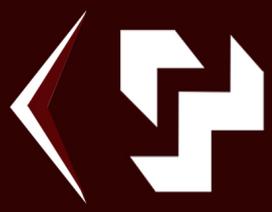
محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



المنطقتين 1 و2 المحددتين من طرف السلطات المختصة ستؤدي إلى كسر مقولة التعايش مع فيروس كورونا ليبدو معها التعايش مع الفيروس أمرا يستدعي إبداع استراتيجيات وآليات جديدة للتحسيس والتوعية بالخطر المحدق. يمكن في الحالة المغربية اعتماد ملصقات تعبيرية مصورة في الفضاء العمومي تصاحب جميع اللوحات الاشهارية وفي المرافق العمومية وفي جميع مرتفعات الخدمات لتحسيس المواطنين والمواطنات بجدوى آلية التباعد الاجتماعي وممارستها. كما أن عدم الالتزام واحترام هذه الآلية مع الخروج التدريجي من الحجر الصحي يستوجب المرور إلى تدابير أكثر صرامة مثل تعقيم فضاءات العمل والمرافق الجماعية الخدمائية واحترام مسافة الأمان وذلك لأن الرغبة الفردية في التقارب الفيزيائي أضحت رهينة التخطيط الجماعي والمصير المشترك لحياة وتواجد الجماعة. وتباعا يبدو أن آلية التباعد الاجتماعي يمكن أن تشكل جسرا مهما للانتقال من عادات اجتماعية وممارسات مؤسسية تنهل من فعل التقارب الاجتماعي إلى عادات اجتماعية تقتصر على "الفعالية الواقعية" و"الفاعلية الرقمية" حيث أن ممارسات التعليم والتدريس وعادات الاحتفال بالأعياد أو المواسم أو الزواج أو مراسيم الوفاة والدفن والعزاء أو العقيقة أو الختان ... ستصبح مراسيم تركز على منطقتين : منطق الفعالية أي بمعنى القيام بها واقعيًا بأقل عدد ممكن من الأشخاص المعنيين والمتدخلين مباشرة في "العادة المجتمعية" ومنطق الفاعلية من خلال مشاركتها مع من يهمهم الأمر رقميا والتداول فيها والاحتفال بها والاجتماع عليها والاتصال حولها افتراضيا. لهذا لكي لا يترك تخلي المغاربة عن بعض العادات من أجل تدبير زمن كورونا أثرا مجتمعيًا عليهم ويقوض أساسيات العيش المشترك والرابط الاجتماعي والتمغريبية أصبح من الجدير الانتقال من مجتمع التواصل الواقعي إلى مجتمع الاتصال الافتراضي.

فإذا كان التفكير والتخطيط للخروج من الحجر الصحي سيتم بطريقة تدريجية ومعلنة يصبح من الجدير الانتقال في التفاعلات الرسمية والمؤسسية المباشرة بين المواطنين والدولة وكذلك بين المواطنين فيما بينهم إلى نسق جديد غير مباشر عن بعد يكرس فاعلية الرقمي والافتراضي على فعالية الواقعي والحضوري. وهذا الانتقال يمكن رصد معناه وجدواه من خلال التجارب الناجحة في دول مثل كندا وكوريا الجنوبية وألمانيا وعديد من

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



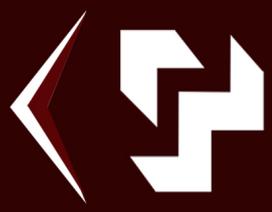
التجارب الأخرى على أساس أن هذا الانتقال ينبغي على سلوك الانضباط المواطنين الذي ينصاع لآلية الارتفاق والحصول على الخدمات عن بعد.

فبالارتكاز على إحصائيات الوكالة الوطنية لتقنين المواصلات بحسب البحث السنوي حول مؤشرات تكنولوجيا الإعلام والاتصال لدى الأسر والأفراد، يمكن استنتاج أن الوضعية الاتصالية للمملكة المغربية يمكن أن تفضي إلى مواطنة افتراضية إذا تمت رقمنة الإدارة حيث يمكن للدولة أن تتفاعل مع الحاجيات الإدارية للمواطنين من خلال بوابة الافتراضي⁶ وبالتالي ربح الرهان في تدبير بل والقفز والتخفيف من المخاطر المحتملة لفيروس كورونا. وتبعاً للإحصائيات السالفة الذكر يمكن الإقرار بأن التفاعلات بين المواطنين فيما بينهم قد دخلت منذ مدة عهداً جديداً يعتمد على رابط مجتمعي رقمي حيث انتقل هذا الرابط من طقوسية وعادات حضورية إلى سلوكيات وقدرات ومهارات رقمية عوضت جميع مكونات وعناصر الرابط المجتمعي. فتبادل التهاني والتبريكات والاحتفال بأعياد الميلاد، ... أصبحت تخضع للمحرك الرقمي الذي يلعب دور الناقل لها والمتحكم فيها بل والحريص على التذكير بها. فتم المرور مثلاً من اللمة العائلية الواقعية إلى اللمة العائلية الرقمية حيث جميع الأسر المكونة للعائلة متصلة عبر تطبيقات مرنة تمكن من الالتقاء والتجاوز تكاد أن تحاكي اللقاءات الواقعية بل وتتجاوزها حيث يعتمد الأفراد على تشارك وتقاسم حياتهم في أدق تجلياتها.

وفيما يمت لعلاقة الدولة بالمواطنين وفي حال تمكنت المؤسسات من ضبط إيقاع الرقمنة مع وتيرة الخدمات الإدارية والاستجابة للحاجيات الخدمية للمواطنين في إطار تواصل عمومي (Communication publique) في صيغة اتصال عمومي (Connexion publique) يمكن الحديث عن لبنات أولية لبناء مجتمع الثقة الذي نتج عن النقلة الرقمية التي فرضها فيروس كورونا وبالتالي ارتفاع منسوب الثقة بين المواطنين والدولة. فهناك احتمال أن جدوى وفاعلية هذا النمط من التواصل العمومي في صيغته الاتصالية يمكن أن تؤسس لمواطنة إيجابية منخرطة

⁶ Vers un nouveau modèle de développement. Rapport Stratégique 2019-2020 , à consulter à partir de https://www.ires.ma/documents_reviews/vers-un-nouveau-modele-de-developpement/ consulté le 07 juin 2020, pp. 195-197

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



ومندمجة في المشروع المجتمعي وتعيد الجدوى والمعنى لمجتمع الثقة والاتصال بين الدولة والمواطنين كوعي مشترك بمصير الوطن وحفاظا على حياة المواطنين.

اشتعال الأخبار الزائفة في زمن كورونا

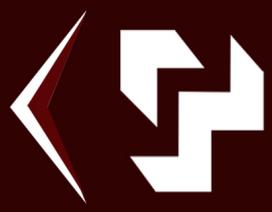
في مقابل هذه الطفرة التي عرفها التواصل العمومي يمكن اعتبار أن تأجيج الأخبار الزائفة⁷ وانتشارها بالمغرب في زمن كورونا مرده حاجة المتلقي إلى تعويض نفسي على بعض الإحباطات الفردية والجماعية كأن يقبل بسهولة أن محاربة جائحة كورونا متوقف على عشاب مغربي أو رؤية ليلية مما يمكن من تأويل الأخبار الكاذبة كشكل من أشكال "الإثنية المحورية" كإجابة على تساؤل "حنا هما المجاهدين والواعرين في العالم". فالأخبار الزائفة بالمغرب بحسب الحالات التي تم رصدها من طرف المديرية العامة للأمن الوطني هي نسبيا ظاهرة حضرية: مدينة تطوان، - مدينة صفرو، مدينة مكناس، مدينة قسبة تادلة، مدينة مراكش، فاس، مدينة طاطا، كلميمة والصويرة ومدينة الجديدة، مدينة برشيد، القنيطرة، مدينة طنجة، بني ملال ...

كما تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى ثنائية تمكن من فهم ظاهرة الأخبار الزائفة وهي ثنائية الأمن الموضوعي الذي يعتمد على معطيات وإحصائيات حقيقية وواقعية ورسمية والأمن الذاتي الذي يرتكز على التمثلات والإدراكات الفردية والشخصية. تتعدى الأخبار الكاذبة من الفرق والتباين والتضارب بين هاذين الصنفين من الأمن: الأمن الموضوعي والأمن الذاتي⁸. وانطلاقا من هذه الثنائية يمكن الحديث عن "ربرتوار" نوعي للفايك نيوز المغربي متعدد ومتنوع: تداول خبر عن إصابة السفير المغربي بالصين بفيروس كورونا، ونشر مقاطع فيديو تتضمن معطيات مغلوبة وكاذبة حول تسجيل إصابات مفترضة في مناطق مختلفة من المغرب، و"فبركة" بيانات رسمية تخص مؤسسات الدولة و نشر لحالات لمرضى على أساس أنهم مصابون بفيروس كورونا أو الادعاء بأن

⁷ Julie Posetti, Cherilyn Ireton, Claire Wardle, Hossein Derakhshan, Alice Matthews, Magda Abu-Fadil, Tom Trewinnard, Fergus Bell, Alexios Mantzarlis 2018, *Journalism, "Fake News" & Disinformation*. Publié par l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO), 7, place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP, France.

⁸ Ceylan, Ayse, 1998 « Analyser la sécurité : Dillon, Waever, Williams et les autres » *Cultures & Conflits* n°31-32 (1998) pp. 39-62. Référence électronique Ayse Ceyhan, « Analyser la sécurité : Dillon, Waever, Williams et les autres », *Cultures & Conflits* [En ligne], 31-32 | printemps-été 1998, mis en ligne le 16 mars 2006, consulté le 23 juin 2020. URL : <http://journals.openedition.org/conflits/541> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/conflits.541>

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب

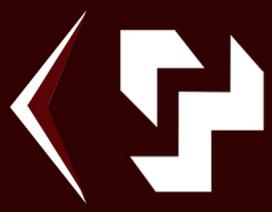


هناك مصاب في الجوار : مكناس مراكش شيشاوة – فاس ... أو الادعاء بالمرض أو بأن الشخص كان شاهداً أو عنده معلومات مؤكدة على إصابة أحدهم أو خبر وفاة الطفل الصغير ابن القاضية ... أو تسريب رخصة استثنائية للتنقل مفبركة أو وصفات سحرية من الأعشاب كدواء فعلي وفعال لفيروس كورونا أو طائرات تتحلق في سماء الدار البيضاء لتعقيمها أو تداول لائحة إسمية ببعض منصات التواصل الاجتماعي، تتضمن أسماء أشخاص يدعى إصابتهم بداء كورونا أو خبر أن "الحجر الصحي بالمغرب سيمتد لشهر يوليو 2020"، منسوب لأحد القنوات العمومية أو موت طبيب مراكش أو إشاعة ومخالطة مصاب وراء إصابة الطبيبين....

انطلاقاً من هذه الحثيات والسرديات مكنت الأخبار الزائفة أصحابها من تحقيق بعض الحاجيات النفسية كالانتقام و الكراهية و مواجهة الخوف حيث أضحى العالم الرقمي الوعاء الأمثل لتفريخ المكبوتات النفسية والتيه الوجودي وتمير بعض الإيديولوجيات كالتكفير والتخوين...أو المس بمنافس سياسي أو اقتصادي أو ثقافي ... لهذا فالهدف منها يحيل على طبيعة المستفيدين ويمكن تصنيفهم إلى فئتين متباينتين : أغلبية ذات أهداف مزدوجة منها التأثير السلبي وخلق بيئة مجتمعية محبطة مع الحصول على عائدات ربحية وأقلية من مختلقي الأخبار الزائفة يمكن أن توصف ب"المرضى المجتمعيين" هدفهم ودوافعهم ليست ربحية بل غرضهم بث الفوضى في المجتمع من خلال منطلق انهزامي وتشاؤمي.

فيما يمت إلى الأضرار التي أنتجتها هذه الأخبار يمكن سرد لا للحصر عدة أضرار. أولها تظافر الخبر الزائف مع التفاهة والرداءة وعدم الاختصاص مما يفسد الانخراط المجتمعي ويعمق الاحتباس المواطني ويركب على المآسي كتجارة حرب تتاجر في سذاجة وعفوية بعض المواطنين في زمن الحرب على جائحة كورونا كما ساهمت الأخبار الزائفة في تجدر بيئة من الهلع المجتمعي والتخمة المرضية في المعلومة ولا علاقة لهذه التخمة بهامش حرية التعبير لأن هناك بون شاسع بين حرية التعبير والخبر الزائف. ولأن في راهن جائحة كورونا يمس الخبر الزائف بالعيش المشترك وكذلك بالمصير المشترك للوطن مع أن الدستور المغربي خصص الفصل 27 للحصول على المعلومة التي

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



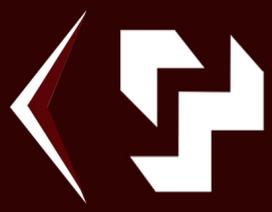
تتوفر عليها الإدارة العمومية بموازاة مكافحة الأنماط المستجدة من الجريمة الإلكترونية ل وتقوية آليات مكافحتها.

من أجل هذا ظهر زخم من النشرات والبلاغات على طول اليوم من طرف وزارة الصحة بالأرقام والتحليل والإحصائيات والتدابير والمبادرات، مما قوض مفعول الأخبار الزائفة وأضعف انتشارها. لكن ما كان لافتا ونوعيا في تواصل السلطات العمومية هو تميز القناة اللغوية للتواصل وتوظيفها البرغماتي التي اعتمدت على التعبيرات الترابية⁹ اللغوية القريبة من وجدان المغاربة: تعبيرات جهوية أمازيغية بتريفيت وبتشليحت وبتمازيغيت وكذلك تعابير عربية بالجبلية والحسانية والعروبية والمدينية. فقد استطاعت هذه التعبيرات الترابية بالإضافة إلى وظيفتها التداولية اليومية أن تضيف إلى وظائفها كذلك وظيفة التأيير المؤسسي لكن بمقومات نوعية تمزج بين سلطة المؤسسة (القايد - المقدم - الشيخ - العامل ...) وحميمية عاطفية أبوية مما قطع الطريق على تفشي الأخبار الزائفة. فصارت هذه التعبيرات هي قناة تواصل السلطات مع المواطنين: القايدة حورية وقائد ميدلت وقائد مقاطعة الأطلس بفاس وعدد لا يحصى من رجال السلطة الآخرين وكذلك الشيخ و"البراحة" والمقدمين وهنا يحضر مثال مقدم جماعة ولاد بلعيد ومثال المقدم مولاي عبد السلام الشاهد وآخرون...

لا يمكن لهذا النوع من التواصل الواقعي أن يكون له وقع وتأثير في التوعية والتحسيس ومحاربة الأخبار الزائفة وأن يصل أهدافه إلا بتأريخه ونشره ومشاركته من خلال آلية الاتصال لاسيما في خضم الانتقال من مجتمع التواصل إلى مجتمع الاتصال وتباعا تم التحول من التواصل العمومي إلى الاتصال العمومي لأن المتلقي يتواجد ويسكن عوالم رقمية متصلة (الفايسبوك والواتساب ويوتوب ...) وانتقل تباعا من مواطنة واقعية إلى مواطنة افتراضية التي ترصدها عدة مخاطر منها لا للحصر سرطان الأخبار الزائفة وتجدر ثقافة "بارطجي". في المقابل وجبت الإشارة إلى جدة وتحدي مبادرات المجتمع المدني لخلق ثقافة مضادة لثقافة الأخبار الزائفة وبيئة الإحباط

⁹ Said Bennis, 2018 « Questionnements et perspectives de la gouvernance de la diversité culturelle au Maroc ». dans *Politics of Recognition and Denial Minorities in the MENA Region*, S. Kawakibi (Ed.), S. Bennis, G. Fahmi, P. Maggiolini, Euromesco Joint Policy Study 11, IEMed. European Institute of the Mediterranean, Published by the European Institute of the Mediterranean, pp. 68- 82

محاولة لفهم راهن التمظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



من خلال هاشتاغات من قبيل "فضاء افتراضي نقي" و "صحافيون ضد الإشاعة"... لأن هناك ضرورة للاستفادة من مكاسب جائحة كورونا لا سيما فيما يتعلق بعلاقة المواطنين بالدولة التي أصبحت تتسم بمنسوب للأبأس به من الثقة.

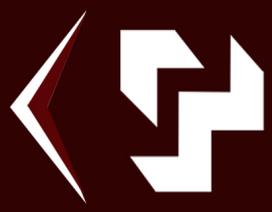
التحولات القيمية في زمن كورونا

صاحب تطبيق حالة الطوارئ ظهور حالة من الاحتباس القيمي تجسد في تفريخ وتوالد الأخبار الزائفة وخرق لحالة الحظر الصحي بنية مبيتة أو بطريقة عفوية في عدد من مدن المملكة المغربية وظهور بعض "تجار الحرب" من خلال ما تناقلته وسائل الاتصال الاجتماعي من مظاهر الاحتكار أثر على مسلمات العيش المشترك والرابط الاجتماعي. كما يمكن اعتبار الحجر الصحي جسرا لثقافة قيم الاحتراز والتضامن وكذلك معبرا نوعيا لممارسة مجتمعية جديدة تختلف في أنماط استهلاكها للمنتوجات المادية (العادات الغذائية...) والرمزية (العلاقات العائلية الرقمية...) أتاحت تمثلات جديدة لاستغلال واستثمار للوقت والزمن متحررا من ضغط الالتزامات والمواعيد والطقوس اليومية. من هذا المنطلق وجب تمثيل وإدراك الحجر وتوصيفه على أساس أنه انغلاق إيجابي لبنيات ونواة المجتمع حول ذاتها لإعادة التعارف والمكاشفة بين مكوناتها بعيدا عن كل أنانية أو تقصير مع باقي أفراد المجتمع. في مقابل هذا الانغلاق تجذرت قيم الاتصال الرقمي عوض قيم التواصل الواقعي بفعل راهنية طقس التباعد الاجتماعي الذي أفرزته جائحة كورونا، فانتقلت ثقافة الجسد والالتقاء من ممارسة مجتمعية واقعية إلى تمثلات رمزية رقمية تمتح من ثقافة "سائلة" بحسب باومان¹⁰ يتم من خلالها انكماش التفاعلات المجتمعية الواقعية وتعويضها بتفاعلات فردية وجماعية رقمية.

في نفس الخضم تراجع قيم العولة واسترجاع مرجعيات الخصوصية ينبئ بظهور مناطق غير معولة ترتكز على إعادة اكتشاف قيمة الاكتفاء الذاتي كما أن التمثلات السلبية المتزايدة حول نماذج وأقطاب القوة من دول أوروبا وأمريكا أضحت واقعا لا محيد عنه وعنوانا لنماذج غير متضامنة مما أعاد الثقة في النماذج المحلية

¹⁰ زيجمونت باومان 2018 الثقافة السائلة ترجمة: حجاج أبو جبر دار النشر: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص 109.

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



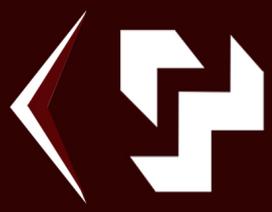
المتكافلة وتوهج ملامح الهوية الوطنية. في المقابل يمكن أن تتغير مرجعيات المدرسة التي كانت تقوم على ما يسمى التجارب الناجحة (أو بنشماركينغ) ليتم الانتقال من فعل المتابعة والاتباع إلى فعل الاستقلالية والمبادرة والتحدي الحضاري. فما بعد كورونا سيفرض ضرورة ولوج المدرسة المغربية لعالم الفكر النقدي لتكوين الناشئة على بيداغوجيا التعامل مع الأخبار الزائفة والثقافة "المتوحشة" والمعولة التي تغزو العالم الرقمي لهذا فبناء المدرسة الممهنة سيصبح مرتبنا أساسا بمرجعيات المدرسة القيمية والفكر النقدي التي من أسسها ترسيخ المواطنة الإيجابية والمشاركة في الشأن العمومي.

كما أن زمن الجائحة أدى إلى تغير ملحوظ في السلوكات والممارسات الاجتماعية في الفضاء العمومي فتم تباعا الانتقال من الأنا كمحور للصحة والتطبيب إلى "النحن"¹¹ الجماعي المنضبط والمتبع للتعليمات الرسمية كأساس لتعافي المجتمع برمته ليصبح التخطيط الفردي مرتبط بالتخطيط الجماعي. ومن تبعات هذا التغير تعميق قيم اكتشافها المغاربة مع الجائحة منها لا للحصر: توهج الانتماء الترابي والرمزي لمغاربة الداخل ومغاربة الخارج الذي يمكن وصفه بالتمغريبت الجديدة: "نيوتمغريبت" التي من تظاهراتها الهجرة المعكوسة: الحريك للمغرب. فانتقل تدريجيا الرابطة الوطني في الحالة المغربية من رابطة ذا شحنة مادية (من طنجة لكويرة) إلى رابطة ذا حقينة رمزية وهو ما يعرف بـ "التمغريبت" ليتحول في زمن كورونا إلى ما يمكن نعتة بـ "النيوتمغريبت" الذي يتأسس على ثلاثة عناصر أساسية وهي الاعتراف على أساس المواطنة والحماية في إطار دولة الرعاية ومجتمع الثقة و الاندماج المجتمعي على أساس أن الاندماج المحلي هو أساس الاندماج الوطني.

وبزغت كذلك بعض الأدوار الاجتماعية منها لا للحصر دور رجل السلطة ودور الطبيب وعامل النظافة ويبدو أن الحصول على الاعتراف و الحظوة المجتمعية ليس مسألة نجومية أو كماليات بل يرتبها بمدى تضحية الفرد من أجل الجماعة وتعرض حياته للخطر والصمود في الصفوف الأمامية لا سيما مع تنامي قيم التضامن الرقمي والاتصال الإيجابي وتوظيفه لإعادة الحركية والتفاعلات المجتمعية في أفق ضبط الخروج من فلسفة الاحتراز

¹¹ Laure Cailloce « Aujourd'hui il faut passer du "je" au "nous" », publié le 25.03.2020
<https://lejournal.cnrs.fr/articles/aujourd'hui-il-faut-passer-du-je-au-nous>, consulté le 11 juin 2020

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



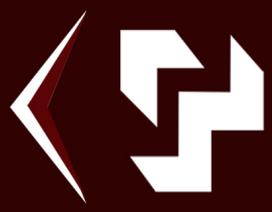
وطقس التباعد الاجتماعي والعودة التدريجية للحياة العادية لاسيما مع ظهور ارهاصات قيم تحديث الفضاء العمومي من خلال توسيع رقمنتته، بدءا برقمنة الإدارة كي تتم تفاعلات المواطنين مع المرافق العمومية عن بُعد كخطوة استباقية لاستعادة تمثل الزمن المجتمعي الواقعي.

من هذا المنطلق وبالارتكاز على راهنية تظاهرات جائحة كورونا وتناسل الأرقام والإحصائيات المحينة والمقدمة من طرف وزارة الصحة يبدو أن مصفوفة المتطلبات والحاجيات الجديدة للمغاربة، ومن ضمنها حاجيات نخبوية ترتبط بالقيم الغير المادية وحاجيات جماعية تمت إلى القيم المادية مثل التشغيل والتعليم و المواصلات و البنيات التحتية و السكن و البدائل التنموية و الأمن... ستتوارى لصالح حاجيات فردية تحيل على قيم الصحة و الحياة والوقاية من الأمراض التي كانت في ما مضى تجسدها مسيرات العطش و غلاء المعيشة ونسبة الوفيات (الرضع - النساء الحوامل) وعودة بعض الأوبئة ووقع التقلبات الطبيعية و الحق في العيش الكريم.

فمن المحتمل إذن أن يعرف الزمن الانتقالي طفرة وتزايد في المبادرات المدنية لإرساء فضاء افتراضي يرتكز على منظومة قيمية تنبني على التضامن والمواطنة والتضحية والالتزام ومجتمع الثقة وهي منظومة كادت أن تتلاشى مع استفحال وتجذر وتنامي فضاء افتراضي "موبوء" يقوم ويتأسس على ثقافة "الفايك نيوز" والكراهية والعنف الرقمي ضد بعض مكونات المجتمع والسرديات الهامشية ("روتيني اليومي" و"البوز"...) والظواهر الرقمية ("كشوان إكنوان" و "دنيا وإحساس"...) وانغلاق المجموعات الافتراضية ("العميقين" والمجموعات النسائية...) لكن مع ردة فعل المجتمع الرقمي على مشروع قانون رقم 22.20 المتعلق باستعمال شبكات التواصل الاجتماعي وشبكات البث المفتوح والشبكات المماثلة يمكن استشراف تراجع ظاهرة السرديات الرقمية وتنامي ظاهرة "الهاكتيفيزم" والحراك الرقمي¹². لهذا من المستحب الدفع بقيم الأمل والتحدي كقيم مؤسسة لمجتمع ما بعد كورونا مؤسس على نظام قيمي إنسي يمجد الإنسان ويستشرف الحفاظ على حياته ووجوده وبقائه فالسؤال يظل أية قيم للعالم الذي نريد أن نعيش فيه في ظل المخاطر المحدقة؟ يبدو من هذا المنظور أن التعاطي مع التحولات

¹² Éric Dagiral, 2008 « Pirates, hackers, hacktivistes : déplacements et dilution de la frontière électronique », *Critique*, 6-7 (n° 733-734), pp. 480-495

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



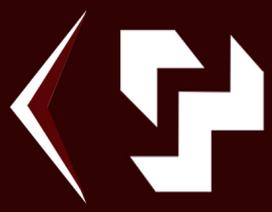
المجتمعية في المملكة المغربية في ارتباطها بجائحة كورونا، يستدعي بموازاة الحديث عن سياسات تنموية أو نماذج تنموية، الانقلاب على سياسات حياتية¹³ لا تهتم بالحاجيات المادية فحسب، بل بحياة الفرد والساكنة، فالانتقال الديمقراطي والسياسي يتم عبر الاهتمام بالجسم والحياة لأنه أساس قيام وانبعث أي مجتمع كيفما كان بعد الحروب والجوائح والكوارث ومصدرا لفهم نوايا المواطنين وتمثلاتهم حول المواطنة والصيغ الممكنة لتقوية الشعور بالثقة بينهم وبين الدولة.

فالحاجة أصبحت ماسة إلى إعادة النظر في منطق السياسات العمومية وضرورة تمثل البحث العلمي كقيمة أساسية من استراتيجيات الأمن المجتمعي وبنائه على عناصر بعينها تجيب على حاجيات "سلطة الحياة" بحسب ميشيل فوكو وإدماج مقولة "السياسة الحياتية" في المشروع التنموي المرتقب لتصير منظومة الحياة من أسس المنظومة القيمية ليس فقط على المستوى الوطني بل كذلك على المستوى الجهوي والترابي. لهذا ولبناء مجتمع الثقة و تعميق المواطنة الإيجابية من الضروري التعاطي مع التحولات المجتمعية للمغاربة بالارتكاز وإبداع سياسات حياتية تهتم ليس فقط بالترابيات (Territoires) والبنى التحتية والحاجيات المادية بل أيضا عبر تقوية الانخراط المواطنين وإيلاء الأهمية لحماية حياة ووجود المواطن. فإذا لم تنجح السياسات العمومية في الاستجابة للحاجيات الفردية في زمن ما بعد كورونا يمكن أن يتأثر الرابطة الاجتماعي ويضعف لصالح سلوكيات التنافر والعنف والكراهية. لهذا صار ملحا لاستشراف ما بعد كورونا التداول حول البدائل النسقية والفلسفية في حقل التحولات المجتمعية والقيمية واقتراح مخرجات واقعية تستجيب لرهانات وتحديات المجتمع المغربي ومنها لا للحصر:

✓ الرفع من القيمة المواطنة للإنسان المغربي عبر الاعتراف بحقوق المرأة وحقوق الطفل وحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة وحقوق الشباب في الشغل والصحة والتمدرس.

¹³ Thibault Bossy, François Briatte, 2011 « Les formes contemporaines de la biopolitique », *Revue internationale de politique comparée* /4 (Vol. 18), pp. 7- 12.

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



- ✓ التواصل والترافع الأفقي حول التعاقد القيمي بتبني ديمقراطية تداولية¹⁴ صاعدة تنصت للتمثلات الرمزية للساكنة وتؤسس لها إطارا للتشارك والانخراط المواطن واعتماد نسق اندماجي يقر بصيغة المفرد وصيغة الجمع عبر استراتيجية نموذج وطني يحتضن نماذج ترابية جهوية.
- ✓ رصد تمثلات الشباب الواقعية والرقمية حول ذاته وموقعه في المنظومة المجتمعية وضبط إدراكه لماضي وواقع مجتمعه وتحديد نجاعة تأويلاته ووقع فعلها على محيطه ورصد مستقبل ريادته وتجذرها في بيئتها للانخراط والمشاركة في بلورة مشروع مجتمع الثقة.

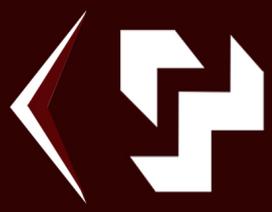
الرابط الاجتماعي والرباط الرقمي في زمن كورونا

انطلاقا من أن الرابط الاجتماعي يبني على مختلف أنواع وأشكال وتعبيرات التفاعل داخل المجتمع وبما أن زمن كورونا ألغى هذه التفاعلات تم تحويل ونقل أغلب تظاهرات الرابط الاجتماعي من بيئته الواقعية إلى بيئة مغايرة وذات طبيعة ومنطق مختلفين ألا وهي البيئة الرقمية. من هذه الزاوية يمكن في سياق زمن كورونا استشراف انتقال مجتمعي في صيغة تغير من مجتمع التواصل الواقعي إلى مجتمع الاتصال الرقمي تكون نتيجته التحول من رابط اجتماعي واقعي إلى رباط مجتمعي رقمي. فمفهوم "الرباط" يحيل على أن الجميع مرابط بالعالم الرقمي لدرجة الإدمان (Addiction numérique)¹⁵. أضحينا أمام رباط رقمي وليس رباط اجتماعي من أهم عناصره التواجد المستمر واليقظة الحذرة والرقابة المواطنة والتفاعل الجماعي والفردى من خلال جسر الفردانية الجماعية (Singularité collective). والمعطى الرئيسي الذي يتماشى مع هذا الاستنتاج هي أرقام وإحصائيات الوكالة الوطنية

¹⁴ Alban Bouvier, 2007 « Démocratie délibérative, démocratie débattante, démocratie participative », *Revue européenne des sciences sociales* [En ligne], XLV-136 | mis en ligne le 01 février 2010, consulté le 26 juin 2020. URL : <http://journals.openedition.org/ress/82> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/ress.82>

Marie-Pierre Fourquet-Courbet et Didier Courbet, « Anxiété, dépression et addiction liées à la communication numérique », *Revue française des sciences de l'information et de la communication* [En ligne], 11 | 2017, mis en ligne le 01 août 2017, consulté le 26 juin 2020. URL : <http://journals.openedition.org/rfsic/2910> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/rfsic.2910>

محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



لتقنين¹⁶ المواصلات التي تعطي أرقام من قبيل أن 75.7 في المائة من المغاربة يتوفرون على هاتف متنقل وأن عددهم يرتفع سنوياً بمقدار 1.2 مليون شخص، وأن 92.4 في المائة من الأفراد البالغين أكثر من خمس سنوات يمتلكون هاتف ذكي وأن معدل الأفراد المتوفرين على هاتف متنقل في أسرة واحدة يصل إلى 3.9 أفراد، فيما تتوفر كل الأسر على هاتف متنقل بنسبة 99.8 في المائة، سواء في الوسط الحضري أو القروي.

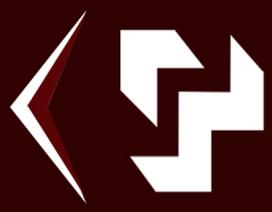
تباعا يتوجب على الفاعل السياسي والمدني أن يفتن إلى أن أفق البقاء الجماعي والعيش المشترك أصبح مرتبنا بالرباط الرقمي عوض الرباط الاجتماعي لأنه حتى في النقاشات الرقمية في زمن كورونا عندما يصل الخلاف ذروته (مثالا شخص سب الدين أو تهكم على الرسول ...) ترد ردود فعل من قبيل " لي ما عجبنا هاش امشي لشي بلاد أخرى" - "لي بغا يعيش ف المغرب خصو يكون هاكذا أو يدير هاكذا" ... فأصبحنا أمام ثنائية تصارعية بين تداعيات ورهانات العيش المشترك الواقعي والعيش المشترك الرقمي. فما هي الصيغة التي طفت على السطح في زمن كورونا؟ من هذا الباب يصبح الرباط الرقمي هو مجمل العلاقات والإجراءات والاحتراقات التي تشد الأفراد والمجموعات ببعضها البعض عبر صيغة اتصالية تمكنهم من البقاء والعيش وسط المجتمع الرقمي وكمثال على ذلك أصبحت ترفض دعوات الأصدقاء مجهولي الهوية أو بدون صور واضحة: أصبح الإفصاح عن المعلومات الشخصية والبيانات الصحيحة والحقيقية ضرورية لبناء الرباط الرقمي الذي ينحو منحى رباط اجتماعي واقعي بتفويض رقمي كفكرة للتقابل (Interface). لهذا أفضت جائحة كورونا إلى تعميق وترسيخ مقولة العوالم الموازية حيث يتعايش الأفراد في عالمين وفضاءين متوازيين هويتين مختلفتين: هوية واقعية وهوية رقمية في تراتبية يتحكم فيها الفرد.

كما عرف زمن كورونا عودة الروابط¹⁷ العائلية والمهنية والقبلية والترابية بشكل مفاجئ عبر تفاعلات رقمية مفتوحة حيث أصبح الجميع ينخرط في "مجموعات" قدماء مدرسة أو ثانوية أو جامعة أو حي أو ... وهي بنيات

¹⁶ Enquête de collecte des indicateurs TIC auprès des ménages et des individus au niveau national au titre de l'année 2018. Résultats. Juillet 2019, consulter le 17 juin 2020 à partir <https://www.anrt.ma/sites/default/files/publications/enquete-tic-2018.pdf>

¹⁷ عبد العزيز محمد خواجه، 2018 سوسيولوجية الرباط الاجتماعي، بناءات مفاهيمية ومسارات. نور للنشر، ألمانيا، ص: 23

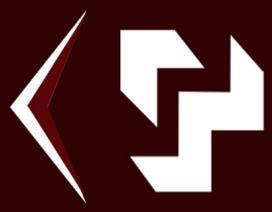
محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



افتراضية تتحسس الرابط الاجتماعي من خلال الرباط الرقمي. فمن خلال هذه التفاعلات يتماهى الرابط الاجتماعي بالرباط الرقمي كما تبينه عودة الأنا بمشاركة صور الطفولة أو صور مع العائلة ... بمنطق أن العلاقات الأسرية قد تم قطعها والانسحاب منها وأن هناك حاجة لإحيائها من خلال أركيولوجيا رقمية. هل هذه السلوكات ترمز إلى سمو العلاقات الواقعية على العلاقات الرقمية وأن الانتقال من رابط اجتماعي واقعي إلى رابط مجتمعي رقمي ليس إلا ظرفيا ويرتبط بزمن الجائحة. يمكن كذلك إضافة ملاحظة أخرى هي أن أغلب "الفايسبوكيون" قد غيروا صور بروفائلاتهم بصور تبرزهم في "حالاتهم الطبيعية" كبحت عن الصورة الحقيقية وليس الافتراضية، هل يمكن أن نستنتج أن الحجر أدى إلى تصلب الأنا (Sclérose) فيخيل للملاحظ أن زمن كورونا هو لا زمن أو بالأحرى زمن أناكروني يتداخل فيه الماضي والحاضر والمستقبل مع غلبة تداعيات الماضي (Réminiscences) مما ينتج عنه فرملة دينامية الرابط الاجتماعي. هناك كذلك من نشر صوراً له عندما كان تلميذاً من خلال صور القسم أو بطاقة التلميذ أو الطالب أو صور الزفاف أو في حالات اجتماعية أخرى ومتنوعة كأنه يتنبأ أنه لن يعود إليها. ومن تبعات استعادة هذه الروابط كذلك ظهور تضامن ترابي رقمي يركز على المدينة والجهة والجماعة والحي ... كأن كورونا ليست وطنية بل ترابية جهوية: الرواد لا يهتمون إلا بوضعية وأرقام ترابهم كأن الرابط الجهوي أقوى من الرابط الوطني والرابط الاجتماعي. فزمن كورونا حول الرابط الاجتماعي من رابط يحتوي الروابط الأخرى إلى رابط يختزل في الرابط الترابي.

ارتباطاً بهذا التحول يتساوى المجتمع الواقعي مع المجتمع الرقمي في منطق وأهداف الرابط الاجتماعي لأن مرجعياتهما متشابهة لكن في زمن الأزمات وفي خضم زمن كورونا تصبح علاقة الدولة بالمواطنين ومع الشعور ب"التهديد الوجودي" هي المحرك والناقل والمكرس للرابط الاجتماعي فمثلاً كان الأمل قبل كورونا معقود من خلال

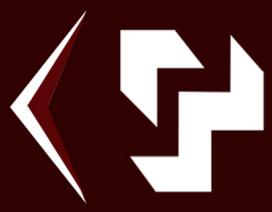
محاولة لفهم راهن التظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



نموذج تنموي جديد لولوج مجتمع المعرفة ولكن مع توالي الأحداث وراهنية كورونا أصبح الهدف هو بناء مجتمع الثقة. فمكون الثقة بين المؤسسات والمواطنين¹⁸ أضحي العنصر الرئيس في تقوية أو تفكك الرابط الاجتماعي. من زاوية مغايرة يمكن لزمن كورونا أن يتيح هامشا تواصليا لترسيخ تنشئة أسرية يتم عبرها اكتشاف مزايا العيش المشترك والتعاقد والرابط الاجتماعي لا سيما مع بروز مبادرات مدنية لإرساء فضاء افتراضي مواطن. إلا أن عجز مجتمع الاتصال على ملء الفراغ الذي تركه الرابط الاجتماعي نتج عنه شعور بأن الرابط الرقمي لا يمنح مشاعر من قبيل الانسجام والتألف ودفء التفاعل بل يمكن استنتاج أن زمن كورونا أرخى بظلاله على الحياة العامة في صيغة تشاؤم يتم تعويضه عبر الرقمي وتمثل لألية التباعد الاجتماعي كمكون جديد سالب للرابط الاجتماعي. لهذا يبدو أن جائحة كورونا كانت محمدا محوريا للانكباب بطريقة معمقة على تسريع رقمنة الإدارة لتتم تفاعلات المواطنين مع المرافق العمومية عن بُعد كخطوة استباقية لاحترام وضبط الشروط الاحترازية للحجر الصحي وتبرئ الظروف المواتية للخروج من حالة الطوارئ. كما أن هذه الوضعية أفضت إلى بزوغ بيئة ثقافية جديدة وهي بيئة ثقافية رقمية "لايف"، "حياة" أسفرت عن ميلاد نوع جديد من المثقفين يمكن أن نسميهم بـ "المثقفين لايف" بعد أن كان الجدل حول المثقف العضوي والمثقف المختص والخبير... وهذا مؤشر على عودة التداول الثقافي عبر بوابة بيئة ثقافية رقمية تنقل من ثقافة واقعية مغلقة إلى ثقافة رقمية "لايف" يبدو أن من تجلياتها المباشرة إبداع حراك تضامني وبناء نقاش عمومي نوعي وتواري ثقافة الكراهية والعنف تجاه بعض فئات المجتمع (المرأة...) واستنفاد الحروب الرقمية (بين المدافعين عن اللغات والتعبيرات الثقافية المغربية والمدافعين عن الحريات الفردية...) واشتعال الحراك والتعبئة الرقمية فيما يتعلق ببعض الإشكالات. ومن هذه التحديات يمكن أن نسرد لا للحصر تحدي اختيار الانضباط المواطنين أو الرقابة المواطنين حيث أصبحت تطرح مسألة الشمولية الرقمية، بعدما اكتسبت شرعية متزايدة بفضل أدائها في مكافحة الجائحة، من خلال تطبيقات على الهواتف

¹⁸ L'ordre sociopolitique et la confiance dans les institutions au Maroc, https://www.ires.ma/wpcontent/uploads/2015/11/lordre_sociopolitique_et_la_confiance_dans_les_institutions_au_maroc.pdf, Janvier 2010, pp 57-59

محاولة لفهم رهن التمظاهرات المجتمعية في زمن كورونا بالمغرب



الجوالة لتعقب المصابين وأنظمة لتحليل البيانات التي ترتبط بصحة الأفراد. في الحالة المغربية طرح تطبيق "وقايتنا" رهان قبول "المراقبة الشمولية" أو تحدي الركون والتعويل على حس المسؤولية لدى المواطنين. في هذا السياق يعدو التعاقد القيبي رهينا بمصفوفة الفاعلين ودورهم في التأثير في بيئتهم ومحيطهم الذي يؤثر له تصدير دستور المملكة المغربية من خلال مقولات دولة الحق والقانون والديمقراطية والتعددية والحكمة الجيدة ومجتمع متضامن وأمن والحرية وتكافؤ الفرص والكرامة والعدالة الاجتماعية لتثمين رابط اجتماعي بموازة رباط رقي أفرزه زمن كورونا ينسجمان مع منطق الجهوية المتقدمة والانتقال من جهات ملحقة بالمركز إلى جهات ذات استقلالية تشكل أقطابا اقتصادية تستطيع أن تحتوي البطالة المحلية وتثبت إرهابات الانضباط المواطنين عند المغاربة والانتقال إلى مجتمع الثقة.